

## ملكة أبيض تروي فصولاً من تجربتها الأدبية المستمرة وشراكة الحياة والإبداع مع الراحل سليمان العيسى؛ التزمت الخط القومي في مؤلفاتي وترجماتي والمعركة الثقافية موازية للعسكرية والسياسية

سلوى صالح

دمشق (سانا): في الحديث عن تجربة الأدبية المخضمة ملكة أبيض، لا يمكن الفصل بينها وبين زوجها الشاعرالراحل سليمان العيسى، حتى في أدق التفاصيل، إذ كان كل منهما يكمل الآخر ويقف الى جانبه في تجربته الإبداعية. وإذا كان وراء كل عظيم امرأة فإنها لم يكن يههما من هو خلف إبداع الآخر. ربما لا يعرفها البعض، إنما يسعدنا أن تكون معروفة من خلال زوجها، وهي لا تغار من شهرته بل تعتز بكونها زوجته.
دايت منذ سني دراستها الأولى على التفوق وكسر القيود الاجتماعية التي تمنع الفئات من الإقبال الفرنسي، وترجمت الكتب وحملت رسالة قومية ومشروعاً ثقافياً ما زالت تنهض به إلى اليوم، رغم كونها من العقد التاسع من العمر. ولمعرفة تفاصيل تجربتها الغنية أجرت «سانا الثقافية» معها الحوار الآتي:

● كيف كانت بداياتك الأدبية؟

- كانت نشأتي في بيت ثقافي في حلب في النصف الأول من القرن العشرين، وكنت واحدة من تسع بنات لآب منتجع الذهن يتقن اللغات. وشكلت المكتبة المنزلية بذور الوعي الثقافي الأولى لدي فقرأت جبران ودلائل الخبرات والعديد من الكتب الأدبية، وتعرضت آسرتي لضغوط لمعني من إتمام دراستي، لكن تقوتي وحصولي على منحة للدراسة الثانوية التي كانت تحتاج إلى أسطاط في ذلك الوقت شجع والدي على التمسك بإتمام دراستي. وكنت أشهدا ضد الاستعمار الفرنسي، ما جعل إدارة المدرسة تحجب عني المنحة التي اضطرت لي العمل أنا وشقيقاتي في التطريز والخياطة والدروس الخصوصية لإتمام دراستي، فحصلت على البكالوريا بتفوق وعملت على تثقيف نفسي بحيث لا أترك وقتاً للرفاغ.

● كيف ومتى ارتبطت مسيرتك بمسيرة سليمان العيسى؟
- بعد البكالوريا أوفدت في بعثة إلى بروكسل فدرست اللغتين خاصيتين في وقت واحد، التدبير المنزلي والعلوم التربوية والنفسية. وفي إجازة العطلة الصيفية للسنة الثالثة جمعتي للفر مع سليمان العيسى لدى أهلي في حلب بعدما صار واحداً من أفراد الأسرة. والحقيقة أنه ساعدني كثيراً وراح يرافقني إلى المحاضرات والندوات والمكتبات والأجواء الثقافية ويعرفني والذي الذي يثق به.

● عرفنا دورك في حياته فما كان دوره في حياتك؟

- زرع سليمان في داخلي شيئاً من التفاؤل في تلك الفترة وفتح لي آفاقاً ثقافية، فالتقنا على الزواج وكنت أشعر بعد نبلي الإجازة الجامعية أن لدي مشروعا في الحياة ورسالة قومية بمشراكة شريك متحمسين يعملون لنهضة البلاد وتطويرها، وكنت على وشك وقف الدكتوراه بسبب متاعب الأسرة والأولاد، إلا أن وجود سليمان معي جعلني أتابع نشاطي الثقافي والأكاديمي، في تلك الفترة كانت الثورة الجزائرية مشتعلة، وقدم الشاعر الجزائري مالك حداد وهو قلب من أقطاب الثورة الى حلب ليجلب الدعم لها، وكان



في العلوم التربوية والنفسية ودرّست في دبلوم التأهيل التربوي مادة التربية المقارنة والدولية، وترجمت كتاباً في التربية المقارنة الأجنبية اكتشفت أن سليمان قد يكون مفيدا لأطفالنا وشبابنا أكثر، ومنذ تلك الفترة أردت أن يكون لي جهد ومشاركة في عمل سليمان، ولم يكن يهمني في أي وقت من هو خلف الآخر. قد لا يعرفني البعض، لكن يسعدني أن أكون معروفة من خلاله وأعزت بكوني زوجته.

● هل تابعت تجربتك في الترجمة مع الشاعر الراحل؟

- عملي في الترجمة مع العيسى توقف عام 1956 بعد 15 سنة من زواجي إذ رشحت في تلك الفترة لمنحة لتتابعية الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت لتدريب المدرسين في المجال التربوي. ترددت كثيرا بسبب مسؤولياتي المنزلية والأسرية إلا أن سليمان شجعتني على قبول المنحة محملا مسؤوليّة تربية الأولاد بالتعاون مع أهله، وخلال ذلك كنت أترجم الأبحاث التي تستعديني في أطروحتي الماجستير والدكتوراه فلم أُنشر شيئاً حتى الثمانينات، وكان هو منهماك بادويته والإشراف على الأطفال. وبعد حصولي على الدكتوراه التي استغرقت عشر سنوات كونها دكتوراه دولة مختلفة عن الدكتوراه العادية واحتاج جهد كبير، عدت للعمل في التأليف والترجمة وفتت بتسنيق أعمال زوجي ومساعدته والترجمة معه في أب الأطفال.

● ما هي مجالات الترجمة التي عملت فيها؟
- ترجمت رسالة الدكتوراه عنوانها «التربية والثقافة العربية الإسلامية في بلاد الشام في القرون الثلاثة الأولى للهجرة» التي لم يكن فيها نظام تربوي بالمعنى المعاصر إنما كانت التربية نوعاً من الثقافة العامة التي ينشأ من خلالها الناس سواء في المسجد أو الرحلات والأسفار. الكتاب الثاني هو رسالة الماجستير التي ترجمتها الى العربية بعدما أضفت لياها دراسة مكملة ومقارنة اجتماعية عن قيم الشباب في جامعة دمشق آنذاك، فالقيم تتغير كل خمس عشرة سنة. وازنت بين الدراستين لأخرج بكتاب «الثقافة وقيم الشباب». ثم شرعت في ترجمة الكتب الأخرى

## البناء

## ملكة أبيض تروي فصولاً من تجربتها الأدبية المستمرة وشراكة الحياة والإبداع مع الراحل سليمان العيسى؛ التزمت الخط القومي في مؤلفاتي وترجماتي والمعركة الثقافية موازية للعسكرية والسياسية

● كيف تأثرت بالفكرة القومية التي نادى بها الراحل العيسى في قضاذه؟

- التزمت بهذا الخط القومي في مؤلفاتي وترجماتي، فعندما تناولت التربية مثلا كان

كتابي يحمل عنوان « التربية في الوطن العربي»، كذلك «علم النفس عند العرب». كانت أعمالني تخدم هذه الرسالة القومية وكنت أركز على كل ما يخدم ثقافتنا ورسالتنا القومية ومستقبل أجيالنا. اليوم أتابع ما يدها سليمان من ترسيخ الفكر لدى الأطفال من خلال إعادة طبع مسرحيات الأطفال وكتب «شعراؤنا»، إضافة الى أن جزءاً كبيرا من الأعمال الكاملة كان للأطفال كذلك مجموعة قصص الأطفال.

● ماذا أضافت لك تجربتك خلال إقامتك الطويلة في اليمن؟

- أفتت من وجودي في اليمن طوال خمسة عشر عاما كئيرا، واكتسبت خبرة كبيرة في عمل تعريفي لي أدياء اليمن وشبابه ومثقفيه، وكذلك لقائي الأساتذة الجامعيين من مختلف الدول العربية. كما تواصلنا أنا وسليمان

مع الكثير من الوفود التي كانت تنتقل في أرجاء الوطن العربي، علما أن الدراسة الجامعية كانت جديدة على اليمن فشاركنت في التأسيس والتخطيط ووضع المناهج في جامعة صنعاء التي لم يكن فيها نساء سواي، وعندما تزمتها كان فيها خمسون امرأة. ذلك كله منحني خبرة حتى بات في وسعي إنشاء جامعة نتیجة متناجيت.

● ما هو العمل الذي تعترزين به؟

- أعزت برسالة الدكتوراه إذ أخذت حين جهداً ووقتا وفتحت أمامي فرصة لأعمل على النحو الذي أريده. تناولت فيها بدايات التربية الإسلامية وكيف تكونت وكيف بدأ كل فرع من فروع العلوم، مع إحصائيات في عدد الطلبة والأساتذة وكيف تطورا حتى أمسى الكتاب مرجعا يفيد منه الباحثون في سورية والعالم العربي.

● هل أنصفك الإعلام؟

- استطيع القول إنه أنصفتني وأخذت ما يكفي، وفي بعض الأحيان كنت المولمة في التصدير إذ لم يكن وقتي يسمح لي بالتواصل كفاية مع وسائل الإعلام بسبب الأعباء الكثيرة مثل التدريس والتأليف والمشاركة في أعمال الرعاية الاجتماعية كجمعية رعاية الأحداث في حلب وجمعية المرأة العربية والعمل في مكافحة الأمية بين النساء العاملات في المصانع.

● ماذا تقولين لوزارة الثقافة؟

- وزارة الثقافة هي الجهة التي تساعد الأدباء والكتاب أكثر من غيرها وفتحت لهم أبوابها، لكن حديثاً لو نتوسع أكثر. لا أنكرأنها أنصفتنا أنا وزوجي وساعدتني في طباعة أعمال العيسى الأخيرة وهي في صدأ إعادة طباعة أعماله الأولى أيضا، وبالنسبة إلى كتبي المؤلفة والمترجمة فإنها طبعت في وزارة الثقافة وأشكرها على ذلك.

● ما رأيك في الحراك الثقافي الراهن وهل هو في المستوى المطلوب؟

- يجزأ الإنسان دوماً عن الوصول الى المستوى المطلوب الذي يستلزم ظروفًا إنسانية مواتية وكادراً كبيرا ووفرة مؤسسات واعتمد في ظل الظروف القائمة تقوم بمساست وزارة الثقافة بنشاط جيد في مجالات الفنون

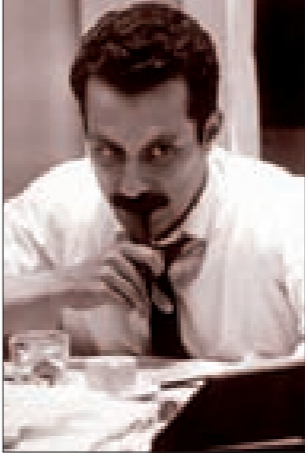
## المعروف وغير المعروف عن روايات غسان كنفاني غير المكتملة

لشروطه يشوّه روح الإبداع. في هذا الإطار، يمكن وضع الاحتمالات التي قد تفسر تراجع كنفاني عن استكمال رواياته الثلاث، علما أنها تختلف في عواملها عن عالم «الشيء الآخر» ورجال في الشمس». كان متشديه وضعا له إطرارا بغيره على الخروج منه، هو الإطار «الوطني والقومي والفضالي»، وعندما تحولت رواية «رجال في الشمس» إلى فيلم سينمائي تحت عنوان «الخدوعون»، وقهر اسم غسان كنفاني عليه، اضطربت المؤسسة الحزبية التي كان غسان عضواً فيها، كان الرواية «لوئت» شرف غسان الوطني والقومي، وبالتالي شرف المنظمة الحزبية!

بعد الضجة «النقدية» الهجومية على الكاتب أصدر روايتي «أم سعد»، وعائد إلى حيفا»، ويحيلنا هذا الواقع إلى خطورة الأزدواج فالتأليف المعرفية المعقدة التي فالسياسي حين يخضع الفني وفكريا.



ويترك رواية «العاشق» في الإدراج، إلى تفسير. ليس مستبعدا أن يكون الشان ذاته مستبقا على الروائيين «الأعمى والأطرش» و«برقوق نيسان»، فليس ثمة ما يؤكد زمن غسان عن الاستمرار فيها والانتقال إلى روايات أخرى ليكملها وينشرها



في هذه الفجوة الزمنية، وبحسب التوضيح الاستهلاكي للروايات غير المكتملة، نعرف أن «رواية العاشق» كتبها كنفاني عام 1966. ولم يكملها. ويحتاج هذا العزوف من غسان عن الاستمرار فيها والانتقال إلى روايات أخرى ليكملها وينشرها

### ثقافة

### الحلقة الضائعة

### بين الأهل وأبنائهم

أمّنة حسين حافظة

في مجتمع قائم على التجاذب بأولوية الفرد الرأى، وتتناحر فيه المناقشات بين جيلين يشكّلان بنية هذا المجتمع من الآباء والبناء، بات التنافر الأسري ظاهرة ترزّح تحت وطأتها عائلات كثيرة، وغدا كل طرف يلقي باللوم على الآخر. ولم نصل إلى هذا التباين كله إلا من خلال مفهوما الخاطئ للتربية، فالتربية ترمي إلى غاية واحدة هي توسيع دائرة الحواف، وتأهيل الفرد ليسبر بيقّة ومهارة، وليتصرّف باعتدال أمام المواقف المتشعبة على امتداد الذّرب، والتي تتطلب العمل على استخراج وسائل السعادة والفائدة ممّا يدور حولنا.

المطالبة بممارسة الحرّيّة لا تعني أنّنا نقصد الإباحيّة مثلما يظنّ كثر، فإن الإباحيّة تنخر جذور الحرّيّة وتقضي على رونقها، وكلتاهما تلغي حدود الأخرى وتتخطّطهما وتتجاوزها. لذا علي الوالدين القيام بالأواجبات المتعلقة بأبنائهم، والمسؤوليّة المترتبة عليهم، وليتركوا لأبائهم الأمر وحرّيّة التصرّف من دون الضغط عليهم، وليكتفوا بالمراقبة والحداية والترقّب. وليَنظروا إلى تهديدهم نحوه فظرتهم، وما تملّبه عليهم ضمائرهم. لئلاخلاق التي غرست فيهم الذّور الأبرّ في تقويمهم، فإن أحسنوا الإختبار فليخصّصوهم وليمطروهم بالتشجيع على العبارة والإقدام وليباركوهم، وإن كان العكس وكان اختياراتهم وأهنا ضعيفا وطاهم بعض الشّر بسبب ذلك، فإن ذلك يجب بمقايبة الإختبار ومردّة لتخطي العقبات واجتياز الرزايا المنشّرة على رصف العمر.

ليس على الآباء سوى غرس الققّة في أفئدة أبنائهم، وليُدرّكوا أنّ على كل شخص أن يحييا حياته بجميع أبعاده، وعليه بالتالي أن يحدّ طريقة ويتشقّ سبيله ودربه بنفسه، فهو المسؤول عن كل عمل يأتبه ويختاره، وعليه أن يتحمّل نتائجها ويتبعات إختياراته. فمتى ندرِك وهنّ تربيتنا وبأنها ناقصة، وأنها أساس كل تسلط وعنف؟ ممّا لا شك فيه أنّ ذلك يجعل الحياة مثل الرّيح السوموم؟ متى نفهم ونعي أنّ العنّف لا يولد إلا العبوديّة؟ ومن يشنّا على العبوديّة لن يتكّن من بدر الأمن وغرس مبادئ العدل والحرّيّة، ففانقد الشيء لا يعطيه. يا حيدنا لو أمعنا النظر في العلاقة بيننا وبين هذه الغرسات الطرّيّة التي تحتاج إلى العناصر الأولويّة ليسط أغصانها كي تبلغ الأفق!

### نادر سراج محاضراً

### عن «العريزية»



ضمن موسمه الثقافي، استضافت جمعية «نينار» الثقافية في فندق «غبريال»، بيروت، الباحث الجامعي د. نادر سراج ليلقي محاضرة عن «العريزية : النسق اللغوي الشبابي المستجد»، وحضر حشد من المهتمين بعد ترحيب من السيد الكس سماحة، قدم السفير السابق بسام طريبه المحاضر، ثم تناول سراج هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية فعزفها باعتبارها لتداخل في نطاق اللغة الهجين، وشرح ظروف تشكلها وهوية منتجها والقواعد المعتمدة في كتابتها وسياقات استخداماتها، وحذر من مغية الاسترسال في استخدامها على النطاق الكتابي بعدما غزت بأفطات المحال والمقاهي والمطاعم. وربط سراج بين شيوعها وتعاطف تأثيرات أجهزة الهاتف الذكية وتكنولوجيا المعلومات، خاصة في صفوف مستخدميها الشبان، ودعا إلى مقاربتها كظاهرة فردية، فالمسألة تنصل أولاً وأخيراً بالنظرة القيمة للمجتمع إلى اكتساب اللغات الأجنبية.

أشار المحاضر إلى أن بروزها ورواجها يعودان إلى المحيط الذي يشجع أسباب التدافع اللغوي – الأجنبي منه أو الهجين – بغير حساب أحياناً، ما ينعكس سلباً على التفاضلية اللغوية لدى الأبناء، فيهملون لغتهم الأم طمعاً باكتساب لغات حيةٍ والتمكّن منها تحادياً وقراءة وكتابة وحتى درشة بها، أو بهـالعربيـزي، التي تستند إليها في أحرفها وأزواجها اللاتينية المنشأ.

بعد عرض التأثيرات المتعاظمة للمحيط الاجتماعي، بوجوهه المتعددة (العائلة، الرفاق، زملاء العمل، الجامعة) وللوساطية، في نشر هذا النسق الكتابي الهجين، بيّن د. سراج أنّ النزوع العتامي نحو استخدامه نتيجة وليس سبباً، فهو محصلة لتدخل مؤسسة اجتماعية مهمة ونظام سلوكي تربوي متكامل. لذا، فالأمر لا يخلو بالضرورة في باب اضطراب السويّة اللغوية، أو التبعية الثقافية للغرب، أو المؤامرة المدبرة ضد لغة الضاد، بقدر ما هو نتيجة منطقية لتهاون الأهلئني منه والمتمتعين والمؤسساتي حيال مكوّن اللغة، وهو مكوّن أساسي من مكوّنات الهوية الثقافية. ولفت ختاماً إلى أنّ هذه المسألة على نحو حقيقي، وتوظيفها في تفعيل العملية التربوية التعليمية، تحديداً ترشيد الناشئة لاكتساب مهارات كتابية سليمة، من شأنه الوصول الى فهم أعمق لسبل ووتائر التواصل عندهم. فتمكثهم من استخدام موارد لغتهم الأم للتعبير عن تجاربهم بحرية وصدقها، وسلاسة يتعدى وظيفية اللغة كوسيلة اتصال وأداة لنقل الأفكار، إلى نفع كل وسيكون كل شيء يعطي خير مبرام؛

شعودات وحلول كثيرة تضج بها

صيدلية متفئنا العتيد، تثبت كل شيء



منطوقاً، خطاباً معلقاً في الهواء من دون أي تكرارث بالواقع والممارسة وشروطهما، يعني أنّ نكتب بغيرها تنويرية مناهضة فحسب، ليس للثقافة وحدها، إنما للهوية ذاتها. يظنّ أنّ نفع كل وسيكون كل شيء على خير مبرام؛ شعودات وحلول كثيرة تضج بها صيدلية متفئنا العتيد، تثبت كل شيء

### شعودات «المثقف الجديد»

سبحول الواقع المادي الموضوعي إلى جنةٍ وكنى الله المؤمنين شر القتال. اتروكا كتحكم الصفراء أيها المشتبون بأحلامكم الماضوية ليتغير واقعكم، وليس العكس.

إذا كان الوعي مصحاحاً سحرياً أو هو «الفارماكون» المكتظ بالأدوية الناجمة لوجبةٍ وواقعنا المازوتي، فإن التغيير، كل تغيير، يبدأ بقرار فردي، وهذه هي الشعودات «رقم 2»، التغيير يبدأ بجرة قلم، بجملة ثقافية ترزين جداريات «تويتر» أو تدس في قصيدة تبشيرية صمماء مثلما يفعل الشاعر الذي نسي هواجسه الجمالية قبل أن يدرك فجأة ضرورات التغيير والنقد الديني والتحليلات المعرفية المعقدة التي ترد «الخراب» إلى عامل أوجد هو العامل الثقافي، متخطياً جنر المشكلة المائل في الشروط المادية

المثقف التي تتسم جوريا – كما أراه – بطبيعة شحاسةٍ والتوعية، بان يكون المرء ديموقراطياً في سلوكه ومتسامحاً و«خوش آدمي»؛

يتكئ الطوباوي على شعودات يحوكلها ليل نهار لإصرار ترهاته السحرية، فإذا كانت ثمة علاقة أكيدة ثنائية وجديلة بين الوعي والواقع، فإن صاحبنا المعتد بوعيه يحولها إلى علاقة أحادية ميكانيكية تبدأ من الوعي بصفته له وسبياً وتتكئ بالواقع بصفته معلولاً ونتيجة. لكي يتغير الواقع يقترح علينا هذا المثقف، الكمي يتغير الوعي، بالتثقف، بالتوعية، ولكن أيضاً وهذا الأهم هنا، بنقد التراث وتاريخه.

الشعودات رقم واحد تكمن هنا:

التراث مشوّه وهو السبب الأول والأخير وراء كل ما يعثور الواقع من أزمات ومآزق، تفكيك التراث

لك سوى أن تختار كلمة. إنه لوغوس الكلمة يا عزيزي، شأنه أن يربط بين الحضور الأنطولوجي واللغة، بين الطوبوي المشتهة والواقع الوردي السخي بخياراته «كن ما تشاء ولكن كن ما تشاء».

أعني الطوباوي ما نراه من سداجة تجتر المعجزات وتبيع الوهم وتثرثر في الصحافة والكتب والأروقة لصيقة لتويتير» وتقدم ذاتها على أنها نموذج «المثقف الجديد» كماتداد طبيعي للإعلام الجديد والمقصود طبعاً «تويتر» وأخواته.

إنه يمتلك الوصفة والحلول الأسطورية لزلمات الواقع الذي يقوم بتأبيده لناحية إفرانه أنه ينبغي، خاطأ بجهل «أو بعدد ربما» بين وظيفية الكاهن التبشيرية المشوبة بسداجة الحالم النصوح ووظيفة

كاتب نذير المشاء (ميدل ايست أونلاين): كن ما تشاء، بجرة قلم

وينظره حاملة ورومانسية ساذجة

حيفنا، الطوباوي» بالوصيلة الجاهزة

والمرتجئة لخيارياته ومصالحه والتي ليس لها مكان حقيقي إلا في دماغه.

لذا العارف الصليح والواقف بذاته أكثر منه بجهب، بحسب أنه يكشف شيئاً جديداً باقتراحه هذا الحل

السحري الذي تجود به بعقبرته مع كل أزمة أو احتراق طائفي: كن ما تشاء ولكن كن وطنياً. ويطلب له

أن يزيد ويتابع حوله السحرية في مواجعتهم لأزمات وبداها بيهذه الصيغة

الماورائية «كن ما تشاء»، ليتابع استراتيجاته التي لا تبهني؛ ولكن عن

مسماحاً، كن سعيداً، كن متبجحاً، كن فاعلاً ومشاركاً، وباختصار: كن ما تشاء ولكن كن ما تشاء!

أمامك مادة من الخيارات، وليس